مجلة المرابط

العدد : ١٨٢ الموافق في ربيع أول ١٤١٧ هجري ٨ / ١٩٩٦ ميلادي

المؤتـــمر السنوي الواحد والعشرون : أزمتنا الفكرية والأخلاقية وإعـــادة بـــنـــاء الشـــخصـــيـــة الإســـلامـــيـــة	بقلم : د. أحمد فوزي

انعقد في مدينة كولونيا - ألمانيا بتاريخ ١٨-٢٠ صفر ١٤١٧هـ الموافق لِـ ٥-٧ تموز/ يوليو ١٩٩٦م المؤتمر السنوي الواحد والعشرون ، الذي يقيمه المركز الإسلامي في آخن واتحاد العمال المسلمين واتحاد الطلبة المسلمين في أوروبا ، وقد اختارت اللجنة التحضيرية للمؤتمر عنواناً للقاء « أزمتنا الفكرية والأخلاقية وإعادة بناء الشخصية الإسلامية » بعد مداولات مع كثير من العاملين في حقل الدعوة إلى الله ، الذين أجمعوا على أهمية التذكير ولفت الأنظار دائماً إلى أن واقعنا الراهن ومعاناة الشعوب الإسلامية ليس مصدره الأعداء ، إنما مصدره ضعف الإنسان المسلم وتأزمه في هذا العصر... وتهدمٌ وضعفٌ قائم في نفس وشخصية المسلم في هذه الأيام... { **إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** } [الرعد : ١١]... وأن الغلبة والتفوق والنصر ، كل ذلك مرهون بصحة وصلاح النفوس... وأن ضعف النفوس ينعكس على الكم فيقلل من قيمته... { **الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مئةٌ صابرة يغلبوا مئتين**...}.[الأنفال : ٦٦]

هذا وقد ألقى الأخ **أحمد عويمر** - مدير المؤتمر - كلمة الترحيب بالأساتذة المحاضرين والإخوة المشاركين ، وبين الأسباب الداعية إلى الكلام عن صفحة من أزمات المسلمين... وكان من جملة ما أشار إليه :

- في هذه الظروف التي يمر بها العالم الإسلامي... نشعر أننا بأمس الحاجة إلى وقفة صادقة مع النفس لكي نضع النقاط على الحروف بكل تجرد وموضوعية.
- فما عصف ويعصف بالعالم الإسلامي بعض أسبابه المباشرة وغير المباشرة يكمن في أزمة يمر بها العاملون للإسلام : أزمة خلقية... وأزمة فكرية.
- ولا يغيب عنكم ما نراه من إفراط وتفريط... وأنانية وحزبية ضيقة... وتجاوزات لقواعد ومبادئ إسلامنا العظيم... وكلامنا عن أزمتنا ليس تشهيراً ولا غمزاً بأحد... فكلنا في الهم سواء !!.
- إننا نرغب في أن يزيدنا هذا اللقاء بصيرة... وذلك بالتشخيص الصحيح للواقع... وإدراك ما خسرنا وخسر العالم من حولنا نتيجة لأزمتنا... ومعرفة ما يترتب على ذلك من واجبات تعيد بناء شخصيتنا الإسلامية الكريمة الرحيمة لكي نقوم بدورنا في توجيه البشرية نحو الرشاد.

وقد شارك في توضيح هذه الأفكار عدد من الإخوة والأساتذة المحاضرين فتحدث **الأستاذ صلاح الدين النكدلي** في المحاضرة الأولى للمؤتمر موطئاً ؛ فبين معنى الأزمة ، وتحدث عن العوامل التي تلعب دوراً في عملية التفكير ، مشيراً إلى أثر **المعلومات** المختزنة في ذاكرة الإنسان ، وإلى مصادرها المختلفة التي هي بشكل رئيسي عند الإنسان المسلم الوحي والتراث... ثم أشار إلى أهمية **الظروف المحيطة** بالإنسان وواقعه ، وأثر ذلك في عملية التفكير ، وثالثاً قدرة الإنسان على **الربط** بين الأمرين...

ثم لفت النظر إلى خطورة الخلط بين المنهج الذي سار عليه الأقدمون وبين النتائج التي وصلوا إليها من خلال هذا المنهج... وأن العمل وفق المنهج هو الصواب ، وليست النتائج اليوم بالضرورة هي نفسها التي قد نصل إليها إذا سرنا على نفس المنهج... ثم أشار إلى ضرورة التفريق بين الفقيه والمفكر والمثقف... وتحديد مرجعية المسلم في كل من هذه المجالات.

وأشار الأخ المحاضر إلى أن لأزمتنا اليوم سببين : **ذاتي** يتجلى بالجهل بما أنزل الله وبالعجز عن التعامل معه ، وهذا أفقدنا المناعة الذاتية... **وخارجي** يتجلى بهجوم الفكرة الغربية بتجلياتها المختلفة وما أدت إليه من ضعف الثقة بالذات والانبهار بالغرب...

في هذه الأجواء ومن هؤلاء الرجال ولدت الحركة الإسلامية المعاصرة ؛ ومرت بمراحل أولها : الدفاع عن الإسلام أمام المهاجمين ، وثانيها : التأكيد على صلاحية الإسلام بذاته وتميزه واستقلاله كمنهج وهي الآن في بدايات الطريق للتعريف به كبعد حضاري وكبديل عن ثقافات وحضارات الغرب...

ولكن في خضم هذه المراحل التي يختلف المسلمون حسب مكانهم وتطور فكرهم الإسلامي في الوصول إليها تختلط أحياناً الأمور على العاملين ، وقد ينتج عن ذلك أخطار قاتلة إن لم يعرف المرشد فقه المقاصد... وفقه الموازنات... وفقه المصالح... وقد كان المحاضر موفقاً في عرض ما يريد... دعّم آراءه بالشواهد القرآنية والأمثلة التاريخية... التي وضحت للمستمعين الأفكار وساعدت على استيعاب الموضوع الهام.

ثم تحدث في المحاضرة الثانية الأستاذ **إسماعيل الكيلاني** عن **الأزمة الأخلاقية**... فبين بداءةً أن التحسين والتقبيح شرعيان ، وليس في هذا الجانب ما هو نسبي ؛ فالصدق أمانة... والكذب خيانة... وأن تعاليم الدين انصبت على رفع الإنسان وتحسين أخلاقه... وقد قال رسول الله ﷺ : « إنما بعثت لأتمم مكارم **الأخلاق** »

والعبادات في الإسلام مرتبطة بتهذيب النفوس وتربيتها :

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

وإنما **الصيام** عن الرفث

والزكاة : **صدقة** تطهرهم وتزكيهم بها ، وتبسمك في وجه أخيك **صدقة**

فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في **الحج**

ثم ضرب أمثلة واقعية تبين حالة المجتمعات الإسلامية اليوم من منظار أخلاقي ؛ فتحدث عن **النظافة** والالتزام بقواعد **النظام** وإنجاز **الواجبات** ، والموقف من **الحقوق والواجبات** ، ثم **الأنانية** وحب الذات... وهكذا مبيناً تقصير المسلمين في هذه الجوانب ، وهي أزمة أخلاقية تلعب دوراً كبيراً في تكريس الظروف السلبية الراهنة في العالم الإسلامي.

وقد جذب الأستاذ المحاضر ـ كعادته ـ أنظار وانتباه الحاضرين بحيويته وجمال أسلوبه إلى ما أراد إيصاله لهم في محاضرته.

ثم كانت في نهاية اليوم الأول أمسية قصيرة تحدث فيها الأستاذ **عصام العطار** بحديث أخوي ، امتزج فيه الأدب بالعلم وشعر الحكمة ، وجهه للشباب والشيوخ ، وبين ضرورة تكامل الأدوار على كل المستويات ، ودعا إلى حشد طاقات الأمة للخروج من أزماتها المختلفة ، وانتقد الذين يقولون ما لا يفعلون :

كـلام النبيـين الهداة كلامنا وأفعال أهل الجاهليـة نفعل

وكذلك الذين يتكلمون ويتكلمون ولا ينجزون واستشهد بقول القائل :

كـلـمـا نـــاديتني هيــا بنــا قلت : هيا وأنا في موضعي

وهكذا انتهى اليوم الأول للقاء بانتهاء حديث الأستاذ العطار...

وفي اليوم الثاني تحدث الأستاذ الدكتور **العربي الكشاط** إمام وخطيب مسجد الدعوة في باريس بحديث جعل له عنواناً متميزاً « **اختلال فاختلاق فانخلاق فاحتلال** » ثم انطلق محللاً كلمات العنوان ؛ معتمداً على معاجم اللغة العربية وفهم العرب ، ورابطاً بعدها بين معاني الكلمات وواقع الأمة... فبين معنى الاختلاق ومعنى التخلق بأسلوب أخّاذ ، ثم تحدث عن معنى الخلل وبين أين يوجد هذا الخلل... ثم تحدث عن القلب الخام... فبين أنه هو القلب الصحيح الطبيعي الذي يتقبل الإسلام تقبلاً صحيحاً وبين أن الاختلال في حياة المسلمين قد بدأ حين حول المسلمون العلم إلى علم لا ينبئ عن حال... ثم جمدوا

بعدها... ورموا الإسلام بجمودهم...

وقد شدّ الأستاذ العربي انتباه الحضور - كعادته - بأسلوبه الجميل وبيانه الأخّاذ.

أما اللقاء الخامس في المؤتمر فقد كان مع أخوين ، جرت العادة أن يتحدثا معاً في المؤتمرات السابقة ، وهما : الدكتور **أحمد المراياتي** والدكتور **مأمون المبيض** وكلاهما طبيب مختص في الأمراض النفسية والعلاج النفسي ، وقد جرى بينهما حوار بطريقة السؤال والجواب ، تعرضا فيه إلى بعض **العقبات** التي تقف على طريق إعادة بناء الشخصية الإسلامية ، وقد جرى التركيز في حديثهما على النفس البشرية وضرورة أن يبدأ التغيير في هذه النفس { **إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** } [الرعد : ١١] وبينا أهمية فهم الإنسان لنفسه حتى يسهل عليه فهم الآخرين والتعامل معهم ، ثم كانت هناك أمثلة من حياة الصحابة ، عقد فيها الأخوان مقارنات بين نفوس ذاك الجيل ومواقفه تجاه أحداث معينة وبين نفوس المسلمين اليوم ، وبالتالي مواقفها تجاه أحداث مشابهة... وجرى حديث عن اللاشعور وأثره على سلوك الإنسان الظاهر ، وكذلك حديث عن حيرة وتوتر وقلق الشباب اليوم ، وكيف يأخذ الداعية الواعي بيد هذا الجيل دون تأنيب أو تقريع أو مقارنات مثبطة...

كما لفت المحاضران النظر إلى ضرورة وجود المؤسسات في العالم الإسلامي التي تدرس الظروف المحيطة وتوجه الأمة على أسس علمية سليمة.

وكانت في الحديث لفتة إلى موقف الرجل من المرأة وخلفيات هذا الموقف الذهنية ، وما ينتج عنها في كثير من الأحيان من تعطيل لطاقات النساء وتحجيم لدورهنّ...

ثم كان اللقاء السادس مع الأستاذ **متولي موسى** في موضوع المؤتمر عن **إعادة بناء الشخصية الإسلامية** وركز على تصحيح العقيدة ، وحذر من آفات قد تنتج عن فسادها ؛ كالغفلة والإعراض عن آيات الله وسننه ، وافتراء الكذب على الله ، ثم آفة اتباع الهوى وآفة اتباع الآباء ، وبين أيضاً أن هناك عوامل مختلفة تؤثر على تكوين الشخصية ، عدد منها : الوراثة ، والمحيط الاجتماعي ، والتربية.

ثم بين أن الخلل يكمن في انفصال ما تدعو إليه الشخصية عما تطبقه... وضرب الأمثلة المختلفة التي عمقت الأفكار ووضحتها وجذبت أسماع الحاضرين وانتباههم.

وقد كانت بعد كل لقاء من اللقاءات المذكورة سابقاً مداخلات من الإخوة الحاضرين ، وأسئلة تتعلق بالمواضيع الملقاة ، أغنت المحتوى ووسعت في أفكاره.

ثم كان في نهاية اليوم الثاني اللقاء السابع في المؤتمر مع الأستاذ الكبير **عصام العطار** ، حيث

امتلأت القاعات العديدة في مكان اللقاء بالإخوة الذين أتوا من البلاد المختلفة ؛ ليستمعوا لتعقيبات الأستاذ على بعض المحاضرات التي ألقيت ، حيث وسع في بعض جوانبها ، وخاصة في مجالات الأزمة الفكرية ، وركز على إيجابيات العمل الإسلامي في الوقت الحاضر ، وأكد ثقة المسلمين اليوم بالله عز وجل مع إيمانهم بانتصار الحق على الباطل... وأكد على ضرورة الاستفادة من الماضي على ألا يكبلنا هذا الماضي... وخاصة إذا كان فيه ما يعوق أو يحرف عن جادة الصواب... { **أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون** } [البقرة : ١٧٠] وأن المسلم يعتبر بالماضي ويبني عليه ، ثم ينطلق إلى المستقبل... وأكذ ضرورة الاستفادة من المسخر للتعرف على السنن واستخدامها للوصول إلى الغايات.

وقد كان الاستدلال بآيات القرآن الكريم يلازم كل فكرة أراد المحاضر توضيحها ، وقد تجلى على الحضور شعور بالاطمئنان لانتصار الحق على الباطل والعدل على الظلم ، فهو وعد من الله لعباده المتقين...

وأجاب الأستاذ على أسئلة الحاضرين الكثيرة إجابة الخبير ، حيث حلق الجميع معه في سماء المعرفة والعلم بين الخاطرة والبادرة وبحور الشعر.

ثم كانت المحاضرة الثامنة في اليوم الثالث للقاء مع الأستاذ الكبير الدكتور **كمال هلباوي** بعنوان « **آثار وأبعاد أزمتنا على المستوى العربي والإسلامي** » فتحدث عن خواص العصر الذي نعيش فيه فذكر منها :

- ♦ حبّ الارتياد والاكتشاف... الذي انتقل من الأمة المسلمة إلى الأمم الأخرى... مع اختلاف في البواعث والأسس والنتائج الواقعية.
- ♦ كثرة العلم التجريبي وتعدد مجالاته... وأثر ذلك على الفكر والعلاقات.
- ♦ التخطيط العلمي المبني على تراكم المعلومات... والذي يستخدمه الأقوياء للسيطرة على المستضعفين.
- ♦ القدرة على الإدارة العليا... ونتائجها في أنحاء الأرض.
- ♦ التكتلات الدولية في الميدانين : السياسي والاقتصادي.
- ♦ الآلة الإعلامية الرهيبة ودورها في فرض التبعية الفكرية.

وذكر المحاضر أن هذه الخواص وغيرها قد أثرت على المسلمين تأثيرات بالغة الخطورة... فالمسلمون الذين عاشوا مرحلة تقليد طويلة... فقدوا القدرة على الريادة والاكتشاف... فخسروا مكان

القيادة العالمية ، وجمودهم هذا أسلمهم إلى عجز وضيع جعلهم يقبلون بالتبعية الثقافية للغرب. ولم يكد الغرب يضع يده على المسلمين حتى قام بتزوير التاريخ والواقع... ونشط في تشتيت الفكر وتمزيق أواصر القوة ، ونتج عن هذا كله شعور عميق بالهزيمة النفسية والخوف من مواجهة التحديات ، واللجوء إلى حماية القوى الأجنبية !!.

في هذا الجو الرهيب ظهرت بوادر صحوة إسلامية تروم إحياء المسلمين وإعادة بناء القوة الإنسانية الرحيمة. وما تزال ظاهرة العودة إلى الذات والبحث عن الهوية في انتشار... ويجب على دعاة الهداية الحقة أن يزرعوا روح الاستشراف في ضمير وعقل أبناء الصحوة الإسلامية... لكي يقوم هؤلاء بدورهم الريادي في قيادة المسلمين وهداية الأمم الحائرة إلى الخير... ولن يتأتى لهم ذلك إلا بالقدرة على صياغة رؤىً وأفكار ونظم في السياسة والاجتماع والاقتصاد... تنير بها الطريق وتكشف سلبيات وإيجابيات عطاء الآخرين.

وفي نهاية اللقاء ضمت المنصة جميع الأساتذة المحاضرين في **ندوة جامعة** أجابوا فيها على أسئلة الحضور فيما يتعلق بمحاضراتهم ، وفيما يخص موضوع اللقاء عامة ، سعد فيها الحضور بإجابات الأساتذة وتوضح بعض ما غمض على المشاركين وأضيفت بعض الألوان على الصورة المرسومة لعنوان المؤتمر في أذهان الحاضرين.

ثم كان الختام بكلمة وجهها الأستاذ **عصام العطار** للجميع ، ودعا فيها إلى العمل الجاد والتعاون على البر والتقوى ، والاستفادة من الطاقات وتوحيد الصفوف.

كلمات على هامش المؤتمر :

- ساد المؤتمر جو من الأخوة والمحبة بين الحضور ، الذين أتوا من البلاد الأوروبية المختلفة ، ومن شمال إفريقية وبلاد عربية أخرى.
- النظام ودقة المواعيد وانضباط الحضور كانت من الظواهر الإيجابية الملفتة للنظر ، وخاصة أن حضور الأولاد دون سن الثالثة عشر لم يكن مسموحاً به.
- كان للشبيبة برنامج إضافي خاص في هذا المؤتمر وقد حضر نشاطات الشبيبة ستون شاباً.
- حضر المؤتمر عدد من مندوبي الجمعيات وبعض مندوبي الأحزاب الإسلامية الذين عرضوا قضاياهم بأروقة المكان ، وتحدثوا مع المؤتمرين والمنظمين ، وأجروا بعض المقابلات الصحفية معهم.
- كان للدار الإسلامية للإعلام معرض قدمت فيه الأشرطة والكتب الصادرة عنها ، كما قامت

بتسجيل جميع المحاضرات وإصدارها آنياً ، بحيث تمكن الإخوة الحضور من الحصول على المحاضرات مسجلة بعد انتهاء المحاضرات مباشرة.

- أقامت مكتبة بلال التابعة للمركز الإسلامي في آخن معرضاً للكتاب ضم عدداً كبيراً من الكتب تمكن الإخوة من الاطلاع عليها أو اقتنائها.
- قام اتحاد العمال المسلمين بعرض صادراته ، وخاصة الأشرطة المرئية والمسموعة.